

ظاهرة الاستغراب وأبعادها الحضارية في الفكر العربي المعاصر

_ حسن حنفي نموذجاً _

The phenomenon of Occidentalism and its cultural dimensions in contemporary Arab thought

_ Hassan Hanafi as an example _

أ.د. عائشة عبيزة¹

Dr.Prof Aisha Abiza¹

جامعة عمّار ثليجي بالأغواط

البريد الإلكتروني : ai.abiza@lagh-univ.dz

تاريخ النشر: 2026/01/01	تاريخ القبول: 2025/12/11	تاريخ الإرسال: 2025/11/06
-------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص البحث

تعددت مفاهيم مصطلح الاستغراب لدى المفكرين العرب المعاصرين باختلاف تخصصاتهم وتوجهاتهم، ومن ثم لم يحظ هذا المصطلح بالضبط المفاهيمي الذي يمكن الدارسين من وضعه في مجاله الاستمولوجي ومن ثم الاستفادة من بحوثه النظرية والتطبيقية من أجل تحقيق التوازن الحضاري في العالم العربي في ظل مفهوم التفوق والهيمنة الغربية.

ومن هنا تهدف هذه الدراسة إلى البحث في العلاقة بين المصطلح وما يرتبط به من توجيهات مفهومية تؤدي إلى تحديد ما يقصد به وما يهدف إليه انطلاقاً من فهم ما استند إليه المفكرون المعاصرون الذين انقسموا إلى فريقين: فريق يطلق عليه "علم الاستغراب" و يجعله علماً قائماً على ثوابت معرفية ومنهجية تمكنه من تحقيق خصائصه كبقية العلوم في أسسها وأهدافها، وهو بذلك في مقابل علم الاستشراق، وفريق ينظر إلى الاستغراب في بعده اللغوي الاجتماعي أي أنه طلب الغرب والميل إليه والتعلق بثقافته وحضارته.

وقد ركزت هذه الدراسة على أعمال حسن حنفي في اعتبار الاستغراب علماً يهدف إلى فهم الآخر (الغرب) في إطاره وخطوط تطوره التاريخي، من أجل أن تكون الثقافة الغربية موضوع دراسة، وليس نقطة إحالة فقط، ومن هذا المنطلق ينبغي ردها إلى حدودها التاريخية والجغرافية، للقضاء على خرافة الثقافة الكونية التي جعل الغرب نفسه مركزاً لها وساهم في ترسيخ هذه الخرافة الفكر العربي من خلال المحاكاة والتبعية والانبهار كمحددات للعلاقة بين العرب والغرب.

الكلمات المفتاحية : استغراب؛ تغريب؛ أبعاد حضارية؛ استشراق؛ تجديد التراث .

Abstract:

The concept of “Occidentalism” has been interpreted in various ways by contemporary Arab thinkers, depending on their different specializations and orientations. and therefore this term has not been given a precise conceptual definition that would enable scholars to place it in its epistemological field and thus benefit from its theoretical and applied research in order to achieve cultural balance in the Arab world in light of the concept of Western superiority and hegemony.

Hence, this study aims to examine the relationship between the term and its associated conceptual guidelines, leading to a definition of its meaning and purpose based on an understanding of the thinking of contemporary thinkers, who are divided into two groups: One group calls it “the science of Westernization” and makes it a science based on epistemological and methodological constants that enable it to achieve its characteristics like other sciences in their foundations and objectives, thus contrasting it with the science of foresight. The other group views Westernization in its socio-linguistic dimension, i.e., the pursuit of the West, the inclination towards it, and attachment to its culture and civilization.

This study focused on the works of Hassan Hanafi in considering Westernization as a science that aims to understand the other (the West) within its framework and historical development, so that Western culture is a subject of study and not just a point of reference. From this perspective, it should be returned to its historical and geographical boundaries in order to dispel the myth of a universal culture that has made the West its center and contributed to the consolidation of this myth in Arab thought through imitation, dependence, and fascination as determinants of the relationship between Arabs and the West.

Keywords: Westernization, Orientalism, cultural dimensions, renewal of heritage.

تمهيد :

لقد اشتغل الدكتور حسن حنفي في خلال العقدين الأخيرين على علم الاستغراب ضمن مشروعه الفكري لتجديد التراث العربي الإسلامي مستمداً أصول بحثه من تخصصه في مادي الفلسفة وعلم الاجتماع السياسي، وقد امتد تقلد مشروعه الفكري عبر مراحل متعددة من خلال أعمال متنوعة تصب في اتجاه واحد يتمثل في التجديد مع المحافظة على الأصالة وخصوصية الأنا من بين أبحاثه التي تعدّ تأصيلاً لفكرة علم الاستغراب ما جاء في بحث: « ماذا يعني علم الاستغراب؟ » الذي صدر العام 2000 عن سلسلة قضايا إسلامية معاصرة.

1_ الاستغراب المصطلح والمفاهيم :

تعددت التعريفات انطلاقاً من تعدد المفاهيم والمنطلقات المعرفية والعلمية التي تأسس عليها كل تعريف اصطلاحى للاستغراب الذي مرّ بمرحلتين تمثلان توجهين مختلفين في النظر لهذا المصطلح بخلفياته الفلسفية والفكرية، ويمكننا تلخيصها فيما يلي:

_الاتجاه الأول:

حالات التعلق والانبهار والإعجاب والتقليد والمحاكاة للثقافة الغربية والأخذ بالقيم والنظم وأساليب الحياة الغربية، بحيث يصبح الفرد أو الجماعة أو المجتمع المسلم الذي له هذا الموقف أو الاتجاه غريباً في ميوله وعواطفه وعاداته وأساليب حياته وذوقه العام وتوجهاته في الحياة، ينظر إلى الثقافة الغربية وما تشتمل عليه من قيم ونظم ونظريات وأساليب حياة نظرة إعجاب وإكبار، ويرى في الأخذ بها الطريقة المثلى لتقدم جماعته أو أمته الإسلامية¹.

الاتجاه الثاني:

إن الاستغراب هو " العلم بالغرب"، والذي جاء كرد فعل عكسي ضد الاستشراق؛ وهو مصطلح يعني "العلم بالشرق"، وفكرة الاستغراب في هدفها الأساسي هي محاولة القيام بأبحاث حول الغرب نيابة عن الغربيين²، كما يعرف بأنه " ظاهرة نفسية واجتماعية وثقافية معاصرة، حيث يتميز الأفراد الذين يجسدونها بالميل نحو الغرب والتعلق به ومحاكاته"³.

كما عرّفه المفكر الاجتماعي عبد الله الشارف بقوله : « الاستغراب هو ظاهرة نفسية واجتماعية وثقافية معاصرة، يتميز الأفراد الذين يجسدونها بالميل نحو الغرب والتعلق به ومحاكاته، نشأت في المجتمعات غير الغربية؛ سواء أكانت إسلامية أم لا، على إثر الصدمة الحضارية التي أصابتها قبيل الاستعمار وخلالها»⁴.

2_ الاستغراب والاستشراق :

لقد انطلق أغلب الباحثين في دراستهم للاستغراب من كونه ردّ فعلٍ حضاري على الاستشراق، لأنّ الاستشراق دراسة للشرق بعيون غربية، أما الاستغراب فهو دراسة الغرب بعيونٍ شرقية، لنعرف كيف نظر إلينا، ولماذا سيطر علينا.

وهكذا ذهب بعض الباحثين المختصين في مجال الاستشراق وأثره في الفكر العربي المعاصر وفي علاقة الغرب بالعرب إلى أنّهم في تحديد العلاقة بين الإسلام والغرب، ولم يكن هذا الإسهام في عمومهِ إيجابياً، وبالتالي يمكن القول: إن الاستشراق في بعض وجوهه كان له أثر واضح في هذه الفجوة بين الشرق والغرب، في الوقت الذي كان يتوقع فيه أن يكون هذا الاستشراق لبنات في تجسير الفجوة، إذا ما تيسر للاستشراق بعمقه البحثي أن يتفهم الإسلام تفهماً إيجابياً، فيقدم الاستشراق صورةً حسنةً للغرب عن الشرق، وفي المقابل يمكن أن يقدم الاستشراق نفسه للشرق صورةً حسنةً عن الغرب، فيما يمكن أن يعد الانطلاقة لمفهوم الاستغراب⁵.

وبحسب حنفي، فإن الاستغراب يعني حرفياً "العلم بالغرب"، والذي تمّ تناوله من قبل العرب والمسلمين كرد فعل عكسي ضد الاستشراق؛ وهو مصطلح يعني "العلم بالشرق". وفكرة الاستغراب في هدفها الأساسي هي محاولة القيام بأبحاث حول الغرب نيابة عن الغربيين، وهو الأمر الذي فعله الغرب بالشرق من خلال الاستشراق .

يقول الباحث أسعد أبو خليل في دراسة له عن علم الاستغراب: "إن عصر التواصل التكنولوجي يُجتمّ فهماً أكبر للعالم من حولنا، خصوصاً لذلك الجزء من العالم الذي لا ينفكّ عن شن الحروب ضدّنا. وإذا كان الاستشراق (ولا يزال) هو رافد للاستعمار الغربي ضدّنا، قد يكون «الاستغراب» رافداً لمقاومته"⁶.

الاستغراب هو الوجه الآخر والمقابل، بل والنقيض من «الاستشراق». فإذا كان الاستشراق هو رؤية الأنا (الشرق) من خلال الآخر (الغرب)، يهدف «علم الاستغراب» إذن إلى فك العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنا والآخر والجدل بين مركب النقص عند الأنا ومركّب العظمة عند الآخر (مجلة الاستغراب).

3_ أشكال الاستغراب لدى المفكرين العرب:

تعددت أشكال أو أنواع من الاستغراب الذي عرفته أو طبّقته بعض فئات الأمة في مراحل ما بعد تحرّرها من الاستعمار الغربي المادي أو العسكري، ويمكننا تلخيصها في النقاط التالية⁷:

__ **الاستغراب الاجتماعي:** يدرس بيئة المجتمع الغربي وعاداته وتقاليده، وعلاقاته الأسرية، والتفرقة العنصرية والجريمة وغيرها من الظواهر الاجتماعية.

__ **الاستغراب الاقتصادي:** يبحث في النظم الاقتصادية للدول الغربية وأحوالها الاقتصادية.

_ **الاستغراب السياسي** : يدرس النظريات السياسية الغربية، ويحلّل الأنظمة السياسية الحاكمة في دول الغرب، وسلوكها السياسي وأثرها في المجتمع.

_ **الاستغراب الديني**: يتناول الاعتقادات الدينية في الغرب، والشعائر والعبادات والطقوس والقيم الأخلاقية المتصلة بها، والكتب المقدسة، والحركات أو الطوائف الدينية في الغرب.

4. الاستغراب في فكر حسن حنفي:

عرّف حسن حنفي الاستغراب بأنه:"دراسة الغرب كما درسنا هو، لا بقصد تقليده، بل لفهمه وتحليل بنيته الفكرية والثقافية، واستيعاب ما فيه من إيجابيات وتجاوز سلبياته"⁸، ويرى حنفي أن الاستغراب هو الوجه المقابل للاستشراق، وأنه يمثل ردّ الفعل الحضاري للعالم العربي تجاه النظرة الغربية المتمركزة حول الذات. فبينما جعل الغرب الشرق "موضوعاً" للدراسة، يسعى حنفي إلى جعل الغرب موضوعاً للفهم العربي من موقع الفاعل لا المفعول به.

4_ الأبعاد الحضارية للاستغراب :

لقد تبلور مفهوم الاستغراب في ظل ثلاثة مؤثرات رئيسية:

_ نقد الاستشراق بعد صدور كتاب إدوارد سعيد "الاستشراق" (1978)، الذي فضح آليات التمثيل الغربي للشرق.

_ تراجع المشروع القومي العربي بعد نكسة (1967)، مما ولّد حاجة إلى مشروع فكري جديد يحیی الذات الحضارية.

_ تأثر حنفي بالتراث الإسلامي والفلسفة الغربية معاً، فسعى إلى إقامة حوار نقدي بينهما، وفي هذا الصدد يقول حنفي: "نحن في حاجة إلى علم يعيد إلينا وعينا بذاتنا من خلال الآخر، فمعرفة الغرب شرط لوعي الشرق بنفسه"⁹.

يذهب حسن حنفي في كتابه "الاستغراب" إلى أنه لا يوجد إمكانية لنهضة الأنا إلا على حساب الآخر، وهو بذلك يحيلنا إلى ما يسميه بالدورة السباعية التي مدتها سبعمئة، ففي نهاية كل سباعية تنهض الأنا وينحسر الآخر، ثم تكتب النهضة للآخر على حساب الأنا وهكذا دواليك.

في الحقيقة، إن التصور الذي لا يرى إمكاناً لنهضة الأنا إلا بغياب الآخر، يظل مضمراً بأمرين:

_ **الأول:** إنه يعزّي قصورنا التاريخي إلى وجود الآخر حصراً، وبذلك يظل مضمراً بالعقلية التأميرية التي تتصور الغرب دائماً بموقع المتأمر على الأمة الإسلامية ورسالتها الخالدة، وهي التحليلات التي غزت الخطاب الجهادي والإسلامي عموماً بعد زلزال الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر .

__ والثاني: تنحيته لكل ما من شأنه أن يكون نقداً ذاتياً يشير إلى مكنم الداء الذي سبق تاريخ التآمر الغربي والذي كان بمثابة نتيجة لهذا التحلف التاريخي.

بالتأكيد بعد هذا التحديد الاصطلاحي لمفهوم الاستغراب يمكننا القول إن قضية الاستغراب ومواجهة التغريب هي عملية متكاملة وعميقة وبعيدة المدى ليست قضية هامشية أو مستقلة بذاتها، ومن ثم فهي تمثل قضية أساسية تتكامل مع قضايا الأمة بصورة شاملة لمكوناتها الثقافية والحضارية.

__ عملية مواجهة التحدي الغربي بكل أبعاده وتأثيراته .

__ الحفاظ على هوية الأمة وثوابتها.

__ النهوض بالأمة، حضارياً ومادياً.

__ رد الفعل الايجابي في مقابل طبيعة الأنظمة الحاكمة في المنطقة وتبعيتها للمستعمرين الجدد، وقمعها للحريات الشخصية والعامّة .

__ مناقشة كيفية إدارة تلك الأنظمة لموارد ومقدّرات بلدانها، وعلاقتها بالقوى الأجنبية المهيمنة .

__ إعادة النظر في تحديد المواقف من الصراع مع الكيان الإسرائيلي المحتلّ لفلسطين، والذي يمثل أكبر تهديد لهوية الأمة الإسلامية ومستقبلها .

5_ الاستغراب وبناء الفكر العربي المعاصر :

ويذهب الدكتور حنفي إلى تقديم عدة مقترحات ضرورية من أجل بناء الفكر العربي الأصيل الذي يتجاوز التقليد والتقريب مع الفكر الغربي المتصدّر والمتسلّط وهو ما يمثل مشروع الاستغراب في مواجهة التغريب، ويمكننا عرض ما قدمه فيما يلي :

__ ضرورة التحرّر من وهم الفوقيّة الغربيّة .

__ التخلص من فكرة اتخاذ الغرب مصدراً وحيداً للمعرفة .

__ ضرورة تجاوز ذلك الوهم الذي يعدّ جزءاً أساسياً من الاستعمار الثقافي وتضخّم الآخر في نظر الأنا العربية.

__ دفع مقولات التكامل والتشابه بين الثقافة العربية والثقافة الغربية؛ ذلك لأنّ التضاد والتعارض بينهما في الأصول والقيم والمآلات هما الحقيقة التي ينبغي أن يصل إليها النظر الفكري السليم .

__ فك عقدة النقص التاريخية في علاقة الأنا بالآخر، والقضاء على مركب العظمة لدى الآخر الغربي بتحويله من ذات دارس إلى موضوع مدروس .

6_ أهداف مشروع علم الاستغراب عند حسن حنفي :

لقد كان للتحويلات العميقة في الفكر العربي المعاصر أثر كبير خاصة في نظرتة إلى الغرب، فبعد مرحلة الانبهار والإعجاب المطلق بالمنجز الغربي، جاءت مرحلة النقد والمساءلة. وفي هذا السياق برز مشروع الاستغراب عند حسن حنفي بوصفه محاولة لإعادة صياغة العلاقة المعرفية بين الشرق والغرب على أساس الندية الحضارية، لا التبعية الفكرية، ومن ثم اعتبر هذا المشروع استجابة فكرية لأزمة الهوية الحضارية في العالم العربي والإسلامي، وسعيًا إلى تحرير الذات من الاغتراب والتبعية. ومن هنا المنطلق صيغت أهدافه الحضارية والفكرية، ويمكننا تلخيصها فيما يلي:

__ الاهتمام بمصطلح الاستغراب وجهازه المفاهيمي وتأثيره على الباحثين المعاصرين .

__ توجيه الباحثين إلى البحث في مكونات المشروع وأهدافه .

__ تحرير الوعي العربي من التبعية.

__ بناء علم بديل يدرس الغرب كما درسنا هو.

__ تحقيق الندية الحضارية بين الثقافات.

__ إعادة الاعتبار للذات العربية والإسلامية.

__ إنشاء مجلة دورية في علم الاستغراب تُعنى بدراسة الغرب وفهمه معرفيا ونقديا بإشراف المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية¹⁰ .

7_ الخاتمة :

إن عصر التواصل التكنولوجي يُجتم علينا فهما أكبر للعالم من حولنا، خصوصاً لذلك الجزء من العالم الذي لا يتوقف عن شن الحروب العالم العربي بأشكال متعددة (مباشرة وغير مباشرة). وإذا كان الاستشراق لا يزال هو رافد للاستعمار الغربي ضده ، فيمكن أن يكون الاستغراب وسيلة ناجعة لمقاومته والوقوف ذلك المدّ الفكري والحضاري الذي ما يزال يحيطبعلنا العربي ويؤثر في رؤيته لتراثه ومستقبله، ومادام لكل فعل رد فعل فإنه كما درس الغرب حضارتنا تحت مصطلح الاستشراق فيمكن أن ندرس حضارة الغرب تحت مصطلح الاستغراب مع توضيح المعالم والحدود التي تمكن من الاستفادة دون المساس بثوابتنا أو البقاء في موقع المنبهر المقلد دون إرادة أو خصوصية.

لقد قدّم حسن حنفي وأمثاله مقترحاً يقوم على أسس فلسفية قابلة للتطبيق والممارسة من أجل التعايش الفكري والحضاري من خلال تحديد العلاقات ورسم الحدود بين المجتمع العربي والمجتمعات الغربية، وهو بذلك يمثل مشروعاً حضارياً مقترحاً من أجل العمل عليه ومن أجل تطبيق أهدافه والاستفادة من معطياته علمالمدى القريب والمدى البعيد .

يُمثّل مشروع الاستغراب عند حسن حنفي تحولاً جوهرياً في الفكر العربي المعاصر من موقع الانفعال بالغرب إلى موقع الفعل تجاهه، فهو دعوة لإعادة بناء الذات الحضارية، واستعادة السيادة المعرفية، وتأسيس علم جديد يدرس الآخر بعين الذات.

ورغم ما واجهه المشروع من نقد، يظلّ من أبرز المحاولات العربية لإعادة التوازن بين الشرق والغرب على مستوى الفكر والحضارة.

الهوامش :

- ¹ _ محمد فريد أمعضشو: التغريب مفهوماً وواقعاً، مجلة الداعي الشهرية، دار العلوم ديوبند، يناير - فبراير 2016، العدد 4، السنة 40.
- ² _ حسن حنفي: «الاستغراب» في مواجهة «التغريب»، مجلة الاستغراب، العدد: 1، السنة الأولى، حريف 2015 .
- ³ _ عبد الله الشارف: الاستغراب في الفكر المغربي المعاصر. منشورات نادي الكتاب لكلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان. مارس 2003 . ص 30 .
- ⁴ _ عبد الله الشارف، نفس المرجع . ص 30 .
- ⁵ _ جورج طرايشي: ازدواجية العقل: دراسة تحليلية نفسية لكتابات حسن حنفي، دمشق: دار بتر، 2005م، ص 116 .
- ⁶ _ أسعد أبو خليل: الاستغراب: نحو دراسة جادة للغرب، موقع صحيفة الأخبار اللبنانية، 2014/10/4.
- ⁷ _ أم العلا الحسني: الاستغراب.. أنواعه ومشكلاته والدافع لدراسته، مقالة منشورة في موقع السبيل بتاريخ 2021/3/18.
- ⁸ _ حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، دار التنوير، 1991، ص 7 .
- ⁹ _ حنفي، من العقيدة إلى الثورة، الجزء الأول، دار التنوير، 1988، ص 25 .
- ¹⁰ _ الاستغراب <https://istighrab.iicss.iq/?id=168>